في حين لا يفصح البيان عن الشرط الذي يحكم دعوته لتبني بلاغة مغايرة بالخروج من دائرة الكلام. وهنا نتساءل: هل استنفدت البلاغة التقليدية فاعليتها التعبيرية في محيطنا الثقافي؟ وهل امتص الكلام اليومي لغة القصيدة المغربية، أو قدم بدوره ميلاً إلى اختزالية الصيغ الرياضية؟.

لا يسعف البيان بأجوبة يمكن أن تبرر هذه الدعوة وتحدد شرطها الموضوعي محلياً.

لقد رأينا دعوة الفضائيين منطلقة من هاجس إلحاق الشعر بفكر مرحلته، والانفصال به عن المثل والأساطير. وبالعلم في فعله المغير للشروط المادية لوجود الإنسان، وبين العلم والفكر. كانت اللغة مدعوة لوظيفة أخرى غير وظيفتها التقليدية، أما دعوة البيان، وإن طابقت دعوة الفضائيين في المطالبة بالتغيير، فإنها تزج بالفعل الإبداعي في متاهات صوفية غامضة، وتشده إلى الجسد لا في كينونته المادية الضامنة للتغيير. ولكن في وجوده المترنح الراحل بعيداً المنتشي المندمج في طقس الحضرة، الجسد العاشق لذاته، باختصار إن مفهوم الخط كما تم توضيحه، يمكن من الخروج على دائرة الكلام المغلقة، يرحل بالجسد بعيداً، يحث الاحتفال المنسي يحتفظ بتحرر أعمق لم نكن نسائله[20].

هكذا يتبين البون الشاسع بين الهاجسين، فلدى الفضائيين هاجس إلحاق الشعر بالفكر والعلم وربطه بالحضور الواقعي للذات في شروط وجودها المادية. وفي البيان هاجس إدخال الشعر في جوف الميتافيزيقية التي ينتدب لتدميرها. وفصله عن لحظته التاريخية باختزاله إلى ممارسة تتمحور حول الذات المحتفلة والمنتشية والمترنحة تارة، وغير العاقلة والواعية دوماً.

انطلاقاً من هذا التصور يسمح البيان بمصالحة الرومانسية التي تتأسس على مواجهتها ورفضها أجزاء مهمة من البيان نفسه، استهدفت رومانسية جيل الخمسينات والستينات بالرفض، يقول: «. . ليست الكتابة دعوة متخفية لآلهات الرومانسية، فلا حاجة لتعداد مناحي تخلق الوعي الرومانسي، ومع ذلك لا قطيعة نهائية مع الرومانسية التي احتفلت بالذات. .»[21].

ويبقى الفرق بين الذات في الكتابة والذات في الطرح الرومانسي هو أن الكتابة تستعيد الاحتفال الرومانسي بالذات، تعلن عن خرقها الذات في الكتابة، تاريخية ولا ميتافيزيقية. . غير أن تاريخية الذات ولا ميتافيزيقيتها لا تتحققان في لغة البيان إلا عبر النقيض المباشر أي الذات غير العاقلة وغير الواعية دوماً، الذات الصوفية المنتشية والمنومة.

---

(20) البيان، م. س، ص: 46.

(21) البيان، م. س، ص: 51.